

مظاهر الاتساق في النص القرآني: دراسة وصفية لغوية

Cohesive Features in Quranic Text: A Descriptive and Linguistic Study

Konsep Kohesi dalam Teks al-Quran: Kajian Deskriptif Linguistik

لبنى عبد الرحمن*

أكمل خزيري عبد الرحمن**

شمس الجميل يوب***

ملخص البحث:

أصبح الاتساق مفهوما لغويا يستسيغ استخدامه عند القدامى في تناولهم للنص القرآني، وأثناء حديثهم عن خصائصه المتميزة. فالأسلوب والعلاقات النصية من خصائص القرآن الكريم التي تؤكد على ارتباط الآيات الكريمة، بالعلاقات القائمة بينها بواسطة العناصر اللغوية، وهي العلاقات الاتساقية. يركز البحث على خمسة أنواع من هذه العناصر، وهي: الضمائر، والحذف، والاستبدال، والتكرار، والربط، ويقسمها إلى قسمين، وهما: الاتساق بالإحالة، والاتساق بالأداة، ويهدف بذلك إلى إبراز دور هذه العناصر في خلق الربط والاتصال بين السابق واللاحق من الآيات القرآنية، وإظهار أهميتها في ضمان استمرارية

* طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

** أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

*** أستاذ مساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الأفكار والأحداث فيها، ومن ثم تحقيق الاتساق في النص القرآني، ووجد البحث أهمية هذه العناصر في فهم النص القرآني لدى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الاتساق - مظاهر الاتساق - القرآن الكريم - نماذج - تحليل

Abstract:

Cohesion is linguistic concept that has long been discussed by the traditional scholars in their study of the Quranic text and its distinguished features. It is therefore the characteristics of the Holy Quran that further authenticate the relation between the Quranic verses through the various cohesive devices. The paper focuses on five of the cohesive features: Pronouns, deletion, replacement, repetition and linkage which are either from the category of cohesion by reference or by devices. The mechanisms of how these devices work in connecting the verses and ensuring the flow of thoughts and events thus ensuring the cohesiveness of the parts of the whole text resulting in the comprehensiveness of ideas in the readership.

Keywords: Cohesion – Cohesive features – The Holy Quran – Samples – Analysis

Abstrak:

Kohesi merupakan konsep yang sering diguna pakai oleh para pengkaji terdahulu apabila mengkaji nas al-Qur'an dan membincangkan keistimewaan ciri-cirinya. Gaya bahasa serta hubungan antara teks adalah antara ciri-ciri al-Qur'an yang membuktikan perkaitan yang terdapat antara ayat-ayat al-Qur'an menerusi unsur-unsur bahasa, perkaitan ini dinamakan kohesi. Kajian ini menumpukan terhadap lima unsur ini iaitu: ganti nama, pembuangan, penggantian, pengulangan, penyambungan, seterusnya membahagikan kohesi tersebut kepada dua bahagian iaitu: kohesi secara rujukan dan kohesi dengan instrument. Ini bertujuan untuk menyatakan peranan unsur-unsur ini dalam mewujudkan kesinambungan antara ayat-ayat al-Qur'an yang terdahulu dan yang terkemudian, mengetengahkan kepentingannya dalam memastikan kelangsungan ide-idea serta peristiwa dalamnya, seterusnya membuktikan pelaksanaan kohesi dalam nas al-Qur'an. Kajian ini telah mendapati terdapat kepentingan unsur-unsur ini dalam pemahaman nas al-Qur'an di kalangan pembacanya.

Kata kunci : kohesi – konsep kohesi - al-Qur'an al-Karim – contoh-contoh - analisa

مقدمة:

لقد تكاثرت الحديث عن فضائل القرآن الكريم الذي نزل معجزا في كل جوانبه، مما يجعل الناس عاجزين عن الإتيان بمثله، لما فيه من "حسن بلاغة وقوة في المعاني وبراعة الألفاظ ودقة التشبيه وحسن ترابط وتسلسل"،^١ كما أنه يتميز بشدة التماسك. ومن هذه الجوانب إعجازه اللغوي، فتماسك النص القرآني واتساقه وارتباطه نوع من الإعجاز اللغوي، ويتحصل ذلك عبر العناصر اللغوية مثل الضمائر، والاستبدال، والحذف، والتكرار وغيرها من العناصر التي تساعد في تحقيق ذلك الاتساق المعجز في القرآن الكريم. ويختص هذا البحث بمناقشة خصائص النص القرآني باختيار الخصائص المتعلقة بموضوع البحث، أي التي تصور لنا تواجد مظاهر الاتساق في النص القرآني، ومنها الأسلوب وخصائصه، فضلا عن معالجة العلاقات النصية في القرآن الكريم ويقدم مفهومها عند الباحثين لإجلاء قضية الاتساق النصي في النص القرآني، ثم إبراز العلاقات الاتساقية بتقديم النماذج القرآنية التي تشمل تلك العناصر.

الاتساق وماهيته:

هناك تسميات عديدة للاتساق^٢ أو ما يقابله في الإنجليزية *cohesion*، إذ أُطلق عليه أيضا السبك، والربط، والتماسك، والتنضيد، والتضام، والانسجام كما وردت في عدد من الدراسات والكتب العربية.^٣ وعلى الرغم من تعدد تسميته، فإن الاتساق يعد من الخصائص التي لا بد من توفرها في نصّ ما، لكونه يؤدي دورا فعالا في بناء النص بواسطة عناصره، مثل الضمائر، والروابط، والحذف، وغيرها، إذ إنه يربط بين أجزاء النص بعضها ببعض من أجل تيسير فهم القارئ للنص، وتحقيق تسلسل الأفكار فيه.

ذكر هاليداي ورقية حسن أن الاتساق يبرز في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر. يفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول. وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق.^٤ فالاتساق عند الباحثين هو علاقة دلالية بين عنصر في النص وبعض العناصر الأخرى التي تبدو مهمة

للتفسير عنه.^٥ وذكرنا في كتابهما عناصر الاتساق الخمسة، وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والروابط، والاتساق المعجمي.

أما منى بيكر، فتعتبر الاتساق من الخصائص المهمة في تنظيم النص وخلقه، وهو نوع واحد من الارتباط الذي يساعد في تمييز النص من غير النص، وتعرّف الاتساق بأنه شبكة من المفردات والعلاقات النحوية التي تربط منطقيًا الكلمات، والجمل، والفقرات من النص، وهو يساعد القارئ على فهم المعاني بالإشارة إلى الكلمات الأخرى التي ترتبط بالعناصر اللغوية المحيطة بها. وفي رأيها أن الاتساق هو علاقة سطحية، ويربط معًا الكلمات والتعبيرات الواقعية التي يمكننا أن نرى أو نسمع،^٦ وهو عندها يندرج تحت التكافؤ النصي.

ويختلف الاتساق عن الانسجام في أن الأول يمكن التعرف عليه في النص مباشرة، أما الثاني فهو علاقة مفهومية، والإدراك عليها قد يختلف من قارئ إلى قارئ، ومن اللافت للانتباه، أن القيمة الأهم لعناصر الاتساق هي أنها تساعد على مراقبة العلاقات الدلالية الضمنية (تعني الانسجام) في النص والتيسير على فهمها، وهذا يعني أن الاتساق هو التعبير السطحي لعلاقات الانسجام، وهو الجهاز الذي يُظهر العلاقات المفهومية في النص.^٧

ونفهم مما سبق أن الاتساق يمثل العلاقات السطحية للنص، وهو نوع من العلاقات التي يمكننا التعرف عليها مباشرة، وأن الاتساق يتحقق بوجود عناصر لغوية معينة داخل النص، مثل: الضمائر، والحذف، والاستبدال وغيرها، وأن دوره في نهاية المطاف أن يزوّد للنص انسجامًا واستمراريةً والتحامًا، وهذه العناصر تؤدي دورًا فعالًا في ضمان ترابط أجزاء النص بعضها ببعض، وقد تُفهم المعاني في النص بالرجوع إلى السابق أو اللاحق، أو من خلال الأدوات أو المفردات التي تعين على فهمها.

توقّر مظاهر الاتساق في القرآن الكريم:

يعدّ الاتساق من الصفات المتميزة أو الخصائص للنص، فكل جملة في أي نص (إلا الجملة الأولى منه) على الأساس يشمل على الأقل عنصرًا إحاليًا واحدًا يحيل إلى المحال إليه في الجملة اللاحقة أو السابقة، ويقوم بالربط بين الآيتين في النص. يرى هاليداي ورقية حسن أن

من خصائص النص ظهور العلاقات بين أجزائه، وهذه العلاقات هي التي تكوّن نسيجاً للنص ونصيته، وتفرقه عن غيره، وهناك مصادر متميزة تخلق نصية النص، ويشيران إلى العلاقات الاتساقية الموجودة داخل النص، كما يشيران إلى الوسائل اللغوية التي تتحقق بها نصية النص. فالاتساق عندهما يرجع إلى العلاقات الدلالية أو المعنوية بين أجزاء النص، وهو الذي يحدد النص بأنه نص، فهو، إذن، من أهم الخصائص في عالم النص.^٨

وانطلاقاً مما تقدم، نثق بأنّ العلاقات الاتساقية متوفرة في النص القرآني، وتؤكد لنا على الإعجاز اللغوي فيه، ويتحقق ذلك بمساعدة العناصر، مثل الضمائر، والحذف، والاستبدال، والتكرار، والربط كما ذكره هاليداي ورقية حسن. والحقيقة أن العلماء المسلمين قد تناولوا الحديث عن هذه العناصر كلها، في مظانّ متفرقة من مجالات العلوم المختلفة مثل: علم النحو، والبلاغة، والتفسير، ولم تجمع في إطار موضوع واحد كما وضعه هاليداي وغيره من اللغويين المحدثين وسمّوه بالاتساق. فقد أكّدت على ذلك الدراسة التي قام بها عاصم، حيث ذكر فيها أن التراث العربي القديم مليء بدراسات عميقة لمظاهر الاتساق وعناصره.^٩

نرى أن من خصائص القرآن الكريم ما يدل على حضور مظاهر الاتساق، وسنركز على أمرين: الأسلوب، والعلاقات النصية في النص القرآني، ونستهدف من ذلك إلى الإثبات على وجود مظاهر الاتساق في القرآن الكريم، وإظهار أهمية عناصر الاتساق ودورها في الاتصال والارتباط بين أجزاء النص.

١- أسلوب القرآن الكريم وخصائصه:

هناك أقوال مختلفة حول أسلوب النص القرآني، فمن العلماء من قال إن أسلوب القرآن الكريم يتسم بالهدوء، وبالفخامة والقوة والجلال عبر انتقاء الألفاظ واستخدام ألوان التوكيد والتكرار، كما أنه يختص بالانسجام الموسيقي الذي فيه تؤلف العبارة من كلمات متسقة،^{١٠} ومنهم من قال إن من خصائص أسلوب القرآن الكريم نظمه، ونظامه الصوتي وجماله اللغوي، وجودة السبك وإحكام السرد، وتعدد الأساليب واتحاد المعنى.^{١١} وفي هذه الدراسة نتناول الخصائص المتعلقة بموضوع الاتساق، ومنها النظم القرآني، وجودة السبك، إذ إن لهما علاقة وثيقة بمفهوم الاتساق الذي نحن بصدد دراسته.

ناقش بعض الباحثين قضية السبك والنظم في أسلوب القرآن بقوله: "فمنذ عهد غير بعيد، وأنا أحس إحساساً عجيباً، بما ضمنه الله تعالى هذه السورة الكريمة التي بسط فيها كثيراً من آياته... في ذلك الطراز العالي من جودة النظم، وحسن السبك، وروعة التصوير... في ذلك الأسلوب المحكم البديع".^{١٢}

(أ) نظم القرآن الكريم:

يرى بعض الباحثين أن التعريف اللغوي لمادة (نظم) في المعاجم العربية مثل: لسان العرب، وأساس البلاغة،^{١٣} وغيرهما، يشير إلى مفهوم الاتساق والائتلاف، قال محمد بن الدبل: "وهذا يعيننا على رد تلك المعاني إلى المدلول الأصلي لمادة (نظم) الذي يوحى مفهومها، وهو: الاتساق والائتلاف والتناسب بين الأجزاء.."^{١٤} ثم وضح أن نظم الكلام يقتضي دقة الأحكام ووضع كل لفظة بجانب أختها، كمثال نظم اللؤلؤ في الخيط يستوجب التناسب في أحكام الصنعة ليبدو العقد سليماً في مظهره،^{١٥} فالنظم بمعنى الاتساق والائتلاف والتناسب بين الأجزاء ذو علاقة بموضوع الاتساق وعناصره، مثل: الحذف، والتكرار، والفصل والوصل.

وذكر أحمد مطلوب في معجمه مادة النظم، وهو "ما يتحدّ في الوضع ويدقّ فيه الصنع، وذلك أن تتخذ أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثابٍ بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن توضع في النفس وضعا واحداً، وأن يكون الحال فيها حال الباني يضع يمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك"،^{١٦} حيث يدل ذلك على حسن الترتيب والارتباط بين أجزاء الكلام.

أما الجرجاني فوضح أنّ النظم هو ما يتحدّ في الوضع ويدقّ فيه الصنع، وذلك أن تتخذ أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتدّ ارتباط ثابٍ بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن توضع في النفس وضعا واحداً، وأن يكون الحال فيها حال الباني يضع يمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك،^{١٧} حيث يدل ذلك على حسن الترتيب والارتباط بين أجزاء الكلام. وقال الجرجاني في الوصف عن النظم القرآني: "بل وجدوا اتساقاً بمر العقول، وأعجز

الجمهور، نظاما والثاماً، وإتقاناً وإحكاماً..^{١٨} وهذا دليل واضح على توقّر مظاهر الاتساق في القرآن الكريم.

وقدّم عبد العزيز عبد المعطى عرفه تعريف نظم الكلام عند البلاغيين، وهو تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه معاني النحو المتخيرة والموضوعة في أماكنها على الوجه الذي يقتضيه العقل،^{١٩} ومع ذلك، رأى الباحث أنّ ضم الكلمات بعضها إلى بعض يسمى من الناحية اللغوية نظاماً،^{٢٠} وقد وجد أن الجرجاني فصل بأن النظم هو ضم الكلمات بعضها ببعض مع مراعاة دلالتها والمعاني النحوية، أي لا يكتفي بضم الكلمات دون مراعاة القواعد النحوية اللغوية، وقد ورد في حديثه عن النظم الكلام عن بعض عناصر الاتساق، مثل: الوصل والوصل، والحذف.

ولوحظ أن موضوع النظم كثر الحديث عنه في مجال البلاغة، ويعالج البلاغيون العرب فيه أحوال تراكيب العبارة والتصرفات البلاغية التي تحدث في النظم العربي، وينطوي النظم على أنواع مختلفة من الأساليب اللغوية بلاغية ونحوية من تقديم وتأخير، وحذف، ونفي وغير ذلك، ولا يقصد هذا البحث أن يشرح النظم من الناحية البلاغية، وإنما يكتفي بالكشف عن ماهية النظم وعلاقته بموضوع الاتساق.

(ب) جودة السبك وإحكام السرد:

إن جودة السبك وإحكام السرد من خصائص الأسلوب القرآني، وأشار الهاشمي إلى أن من فوائد علم المعاني معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصّه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف، وبراعة التراكيب، وغير ذلك،^{٢١} والحديث عن جودة السبك ورد كثيراً في مؤلفات العلماء من البلاغيين والمفسرين أثناء كلامهم عن إعجاز القرآن الكريم وبلاغته، كما استخدمه النقاد العرب القدامى في وصف الشعر مثلما وصف الجاحظ أجود الشعر بأنه جيد السبك وأنه متلاحم الأجزاء^{٢٢} في قوله: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكا واحداً.."^{٢٣}

وعُرف السبك بأنه "أن يتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"،^{٢٤} وهذا التعريف يشير إلى مفهوم الارتباط ووجود العلاقة الاتساقية.

وفي الحديث عن أسلوب القرآن الكريم، ذكر الزرقاني في كتابه إشارة إلى الموضوع أعلاه، بقوله: "أن القرآن الكريم تقرأه من أوله إلى آخره، فإذا هو مُحكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قويُّ الاتصال، أخذُ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله... نُظمت حروفه وكلماته، ونسقت جملته وآياته، وجاء آخره مُساوفاً لأوله، وبدأ أوله مواتياً لآخره!!"،^{٢٥} فهو يصور لنا مظهر السبك في أسلوب القرآن الكريم، واعتقد بعض الباحثين أن جودة السبك وإحكام السرد أمر مهم لا ريب فيه، لأن الكلام هو مرآة المعاني، ومن ثم ينبغي أن يتسق الكلام ويتحد وتتربط أجزاءه، وتتلاحم أفراداه مع إحكام السرد لصفاء المعاني، ويتجلى ذلك في القرآن الكريم مما يؤدي إلى أسلوبه المعجز ونظمه الباهر.^{٢٦}

وذكر بعض الباحثين أن جودة السبك وإحكام السرد يعني أن القرآن مترابط الأجزاء، ومتناسب تناسباً قوياً، حيث يظهر في أسلوبه ترابط أجزاءه، وتماسك كلماته وجمله وآياته، مع طول نفسه وتنوع موضوعاته ومقاصده، وتنوع فنونه البلاغية في الموضوع الواحد، كأنه سبيكة واحدة، تأخذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار، ثم ذكر أن هذا يدل على جودة السبك وإحكام السرد بين أجزاء تلك السبيكة البديعة المتألفة التي تريك كمال الانسجام بين سور القرآن وآياته.^{٢٧} وهذا يعني أن في القرآن اتساقاً وإحكاماً *firm connection* بين كلماته وجمله وآياته تحقيقاً لجوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، قال الجرجاني في الوصف عن النظم القرآني: "بل وجدوا اتساقاً بمر العقول، وأعجز الجمهور، نظاماً والشاماً، وإتقاناً وإحكاماً...".^{٢٨}

أما في لسانيات النص، فكلمة السبك ترادف الاتساق - الموضوع الذي نحن بصددده الآن. فالسبك مصطلح يستخدمه بعض الباحثين، من أمثال سعد مصلوح، والشامي، بدلاً عن الاتساق، أو التماسك، أو الترابط، وغيرها من التسميات العديدة لـ *cohesion*، وذكر الشامي في بحثه الجامعي أن استخدامه لمصطلح السبك يلتقي مع التعريف السابق، لأن

تعريفه المعجمي "ذوّبه وأفرغه في قالب"^{٢٩} يلتقي مع معناه الاصطلاحي "يشكل كلاً متآخذاً"، فإذا ذوّب الذهب وأفرغ في قالب بعد أن كان متنافرة قطعاً، ومتباعدة أجزاءه صار كلاً متماسكاً متآخذاً لا يمكن التفريق بين أجزائه، كما هو شأنه للوسائل اللغوية التي تربط بين أجزاء النص فتجعله كلاً متماسكاً لا يمكن التفريق بين أجزائه.^{٣٠} فالسبك النصي يعني الاتساق النصي أو التماسك النصي، حيث يدل ذلك على وجود الارتباط والاستمرارية من البداية إلى النهاية بين أجزاء النص.

وإذا تحدثنا عن جودة السبك وإحكام السرد في القرآن الكريم، تلاحظ الباحثة - من الأقوال السابق ذكرها - أن جودة السبك وإحكام السرد في النص القرآني تشير إلى جودة أسلوب القرآن الكريم الذي يتميز بحسن تنظيم آياته وسوره، وقوة التلاحم والترابط بين أجزاء الآيات، ويتحقق بذلك الاتساق النصي والتماسك في القرآن الكريم.

وفضلاً عن ذلك، يوحى إلينا ما سبق بأن القرآن الكريم نصٌّ موحدٌ منظمٌ بأجزائه المتناسكة المترابطة لا يمكن التبديل فيه؛ لما له من جمال النسيج والاتساق العجيب بين ألفاظه، كما ذكر الجرجاني في الدلائل: "أنهم تأملوه سورة سورة، وعُشراً عُشراً، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أنّ غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتساقاً بمر العقول، وأعجز الجمهور، ونظاماً والثاماً، وإتقاناً وإحكاماً...".^{٣١}

ويرى الباحثون وجود علاقة مقاربية بين المصطلحين (النظم والسبك) وبين الاتساق، حيث يُستخدمان في التعبير عن فكرة الاتساق، لأنهما يشيران إلى معنى الترابط والتماسك بين الكلمات أو الجمل وغيرها من أجزاء النص، إذ لا يتحقق ذلك في نص ما إلا باستخدام العناصر اللغوية التي تساعد في ذلك، ومنها عناصر الاتساق التي نحن بصدد دراستها.

٢- العلاقات النصية في القرآن الكريم:

لقد تحدث الكثير من الباحثين قديما وحديثا عن القرآن الكريم بأنه كتاب معجز لما له من الأسلوب البديع والنظم العجيب، واحتجوا بأن القرآن الكريم امتاز على غيره من الكتب المنزلة وعلى سائر الكلام لما فيه من تسلسل الآيات، واختيار التعبيرات، علما أنه نزل منجّما على مدى ثلاث وعشرين سنة من دون أن يؤثر ذلك في ترابطه وتماسكه وانسجامه، حيث جاءت آياته وسوره مرتبطة بعضها ببعض، من أولها إلى آخرها،^{٣٢} حتى اعتبر بعضهم، أمثالهم القرطبي، أن القرآن كله كالسورة الواحدة، وهو متصل ببعضه ببعض،^{٣٣} ذلك يشير إلى وجود العلاقات النصية في القرآن الكريم مما يجعل النص القرآني وحدة واحدة وكلاً متماسكا، ويرى بعض الباحثين أن العلاقات النصية من خصائص القرآن الكريم.^{٣٤}

مفهوم العلاقات النصية:

وفي هذا الصدد، نقف عند بعض اللغويين والمفسرين والباحثين الذين تناولوا الموضوع، على الرغم من اختلاف المصطلحات التي استخدموها في التعبير عن العلاقات النصية في القرآن. ويُلحظ أن الجرجاني في حديثه عن النظم يشير إلى أهمية وجود العلاقات بين أجزاء الكلم التي تجعله منتظما ومترتبا، إذ قال: "أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك"،^{٣٥} وهذا القول - كما سبقت الإشارة إليه- يشير إلى مفهوم الاتساق في الكلام أو النص.

ومن الباحثين من يشير إلى مفهوم العلاقات النصية في القرآن باستخدام مصطلح (التناسق)، وقال سيد قطب إن التناسق في القرآن بلغ الإعجاز في ألوانه ودرجاته وآفاقه، "فمن نظم فصيح، إلى سرد عذب، إلى معنى مترابط، إلى نسق متسلسل، إلى لفظ معبر... إلى اتساق في الأجزاء، إلى تناسق في الإطار.."^{٣٦} وكذلك الخطابي الذي قال إن من إعجاز القرآن الكريم تناسق أجزائه وتكاملها.^{٣٧} وأشار بعضهم إلى النسق البنائي للدلالة على تلك العلاقة التي تجعل النص القرآني مترابطا ومتناسقا غاية التناسق، فالسور والآيات جميعها

منظومة في عقد فريد، وعُرف النسق البنائي بأنه علاقة الجزئيات الصغيرة بعضها ببعض مكوّنة كلا واحدا متناسقا متماسكا.^{٣٨}

وأما ابن العربي فهو يصوّر لنا توافر العلاقات النصية في القرآن الكريم عند حديثه عن علم المناسبة، ذلك العلم الذي يبحث في علاقات بين السور والآيات في القرآن الكريم، وغالبا في مجال البلاغة، والتفسير، وعلوم القرآن.^{٣٩} عرف ابن العربي علم المناسبة بأنه ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني، واعتبر ذلك وجهها من وجوه إعجاز القرآن.^{٤٠} ويمكن أن نلتمس مفهوم العلاقات النصية في القرآن الكريم تحت موضوع المناسبة بين أي القرآن أو مناسبات الآي في الكتب التي ألفها العلماء في مجال الدراسات القرآنية، مثل في كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي.

وذكر بعض الباحثين، ومنهم الباحثة سلوى العوا، بأن العلاقات النصية في القرآن وتحليلها موضوع يدرسه علم المناسبة، ومع ذلك، فهي موضوع في وقتنا الراهن لا يبحث فيه العلماء في مجال البلاغة، والتفسير وعلوم القرآن فحسب، بل يُبحث في مجال اللغويات كذلك، أي أنّ العلاقات النصية أصبحت في الزمن الحالي مجال دراسة بين المفسرين واللغويين، فعلماء اللغة غالبا يبحثون في العناصر والعوامل اللغوية التي تدعّم تلك العلاقات في القرآن الكريم، وذكرت أن المناسبة في واقع الأمر مصطلح يستخدمه علماء القرآن في الإشارة إلى العلاقات التي تربط بين الآيات القرآنية، وهي تتمثل في العلاقات بين الآيات في كل سورة، والعلاقات بين السور القرآنية المتتالية.^{٤١}

وقال بعض الباحثين إن المفسرين وعلماء القرآن تحدّثوا عن أنواع مختلفة من المناسبات في القرآن الكريم، ومنها: المناسبة بين الآيات، والمناسبة بين السور، والمناسبة بين المطالع والخواتيم، والمناسبة بين الفاصلة والآيات الواردة فيها، والمناسبة بين الفواصل في السورة الواحدة.^{٤٢} فأصبحت العلاقات النصية بهذه التقسيمات مفهوما واسعا لا ترى الباحثة ضرورة الخوض في مناقشتها في هذا البحث.

نرى بالتأكيد أنّ ما أشار إليه العلماء والباحثون عن مفهوم العلاقات النصية يتعلق بمفهوم التماسك النصي برّمته الذي يدور حول مظاهر الاتساق والانسجام، كما قدّمه

الفقي عند حديثه عن التماسك النصي، وقد قام الفقي بتعريف العلاقات النصية بأنها "علاقات قائمة على العلاقة بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، ثم بين الكلمات داخل عدة الجمل"،^{٤٣} أي داخل النص. ووجدنا أن سلوى العوا في توضيحها عن العلاقات النصية في القرآن عند الزركشي، تشير إلى علاقات الاتساق والانسجام (*coherence and cohesion relations*).^{٤٤}

غير أن البحث الحالي لا يقصد دراسة العلاقات النصية بالتفصيل في هذا الموضوع، وإنما يكتفي أن يقدم فكرة عامة عنها من أجل التأكيد على وجود العلاقات الاتساقية في النص القرآني التي تجعل القرآن متسلسل الآيات ومتربط الأجزاء.

العلاقات الاتساقية في القرآن الكريم:

ينحصر دراسة عناصر الاتساق في هذا البحث إلى خمسة عناصر، وهي: الضمائر، والحذف، والاستبدال، والتكرار، والربط، ثم نقسمها إلى قسمين: الاتساق بالإحالة، والاتساق بالأداة، ونجعل أربعة منها، وهي: الضمائر، والحذف، والاستبدال، والتكرار، من فروع الاتساق بالإحالة، لأن كلا منها يحتاج إلى عنصر إحالي سابق أم لاحق. أما الربط فهو يتمثل في استخدام أدوات ربط متنوعة تصل بين أجزاء النص. وهذه الأدوات، في رأي هاليداي ورقية حسن، لا تمتد ذراعها إلى البحث عن العلاقة الإحالية فيما تقدم أو ما سيلحق في النص، وإنما تقوم بتعبير دلالات معينة تفترض حضور المكونات الأخرى في النص.^{٤٥} وسيأتي التوضيح في توظيف كل من العناصر في القرآن الكريم لإجلاء دورها المهم في تحقيق الاتساق بين أجزاء النص القرآني.

أولاً: الاتساق بالإحالة:

نطلق مما سبق إلى تقسيم الاتساق إلى الاتساق بالإحالة، والاتساق بالأداة، ويتفرع الاتساق بالإحالة إلى العناصر الآتية: الضمائر، والاستبدال، والحذف، والتكرار. أما الاتساق بالأداة فهو يتم باستخدام روابط أو أدوات الربط في تحقيق الاتساق النصي. وتعد الإحالة

أكثر الوسائل اللغوية انتشارا في النص القرآني، ولا سيّما الضمائر، حيث نجد أنه لا تكاد تخلو منها جملة أو آية، فهي أهم معطيات النص التي تسهم في نصيته وتماسكه.

أ- الضمائر

تستخدم الضمائر في اللغة العربية بكثرة، إذ لا توجد أي نص بدونها، وهي أهم عناصر الاتساق، والتي تؤدي دورا بارزا في الربط بين أجزاء النص. ويرى الفقي أن الضمائر تكتسب أهميتها بصفقتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية، ولا تقف أهميتها عند هذا الحد، بل تتعداه إلى كونها تربط أجزاء النص المختلفة، شكلا ودلالة، داخليا، وخارجيا، وسابقة، ولاحقة.^{٤٦} ونرى أنّ الضمائر تؤدي دورا هاما في تجنب التكرار غير الضروري من الكلمات، أو الجملة، وما أشبه ذلك داخل النص. وقد تكون الضمائر للتكلم ك (أنا) و(نحن)، أو الخطاب مثل (أنت) وفروعها، أو الغيبة، ويُسمى هذا النوع من الضمائر ضمائر الشخص. ويعدها بعض الباحثين من الروابط بين عناصر النص الملفوظ، يقتضيه الإيجاز في العبارة، واجتناب تكرار ما سبق ذكره تخفيفا على المتلقي.^{٤٧}

وضمّ بعض الباحثين في هذا التصنيف أيضا أسماء الإشارة (أو ضمائر الإشارة)، والأسماء الموصولة (أو الضمائر الموصولة)، ومنهم تمام حسان الذي ذهب إلى أن الضمائر في اللغة العربية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضمائر الشخص، وضمائر الإشارة، وضمائر الموصول، وقال إن الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب... والحضور قد يكون حضور تكلم ك(أنا ونحن)، وقد يكون حضور خطاب ك(أنت) وفروعها، أو حضور إشارة ك(هذا) وفروعها، والغيبة قد تكون شخصية كما في (هو) وفروعها، وقد تكون موصولية كما في (الذي) وفروعها.^{٤٨}

وتشترك هذه الضمائر الثلاثة في أنها تقوم بوظيفة الإشارة والمرجعية، إذ تفتقر إلى عنصر سابق، وأنها تقوم بعملية الربط بين أجزاء النص. وذكر تمام حسان أن هذه الضمائر جميعا تكون ذات مراجع متقدمة عليها في اللفظ أو الرتبة أو فيهما معا، وكذلك رأى أن الضمائر

تؤدي دورا هاما جدا في علاقة الربط، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، ومن هنا يؤدي إلى تماسك أطراف الجملة.^{٤٩}

وقد كثر الكلام عند علماء العربية عن الضمائر، وأسماء الإشارة، وأسماء الموصول، ولا سيما في مجال النحو، حيث لا تخلو الكتب النحوية قديما وحديثا من هذه الموضوعات، مثلما وجدنا عند سيوييه، وابن هشام، وابن عقيل، والسيوطي، وغيرهم من علماء النحو العربي في مؤلفاتهم النحوية، كما ناقش المفسرون مرجعية الضمير في تفاسيرهم، مثل: الرزكشي الذي تحدث عن مرجعية الضمير في النص القرآني إلى السابق واللاحق، وإلى ما هو خارج النص، وغير ذلك مما يتعلق بالضمير.^{٥٠}

١. نماذج لضمائر الشخص - قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَأُوهُمْ الْعَلِيلِينَ ﴿١١٦﴾ وَأَنزَلْنَاهُمَا الْكُتُبَ الْمُسْنِيْنَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مَنَّ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾^{٥١}

تتفاوت الضمائر فيما تقدم من الآيات القرآنية بين الغيبة، والتكلم. وتأتي هذه الضمائر بارزة، وتقوم بدورها الفعال في الربط بين أجزاء الآيات بوضوح. ومن الضمائر ما يُحيل إلى مرجعية خارجية، مثل ضمير المتكلمين في (مَنَّأ) و(نَجَّيْنَا) و(نَصَرْنَا) ونحو ذلك، فالضمير يتمثل في مرجعية خارجية، ويحيل إلى صاحب المتكلم الذي أنزل الآيات بواسطة ملائكته، يعني الله عز وجل. أما ضمائر الغيبة فهي تحيل إلى مرجعية داخلية، أي الشخصية التي تُقَصَّ في الآيات، وهي شخصية موسى وهارون عليهما السلام، فنجد ضمير (هما) في الآيات السابقة، وهو الذي يعود إلى الرسولين عليهما السلام، ويشكل العلاقات الاتساقية بين الآيات، إذ يجعل الآيات مترابطة بعضها ببعض بالتأكيد.

٢. نماذج لضمائر الإشارة - قال الله تعالى:

﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٥٢}.

يأتي اسم الإشارة (ذلك) إشارة إلى السابق ذكره في الآية وهو (الدين)، رابطاً بين ما بعده وقبله من الآية الكريمة، تأكيداً للدين الحنيف، وهو الدين عند الله عز وجل، فتوظيف اسم الإشارة أو ضمير الإشارة يساعد في تحقيق الاتساق على مستوى الآية الواحدة، أو أكثر من آية في النص القرآني.

وقال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ. وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾^{٨٤} ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ. وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾^{٥٣}.

يحيل (هنالك) إلى وقت رؤية البأس^{٥٤} الذي ذكر فيما سبقه، فأصبحت الآيتين مرتبطتين ببعضهما البعض.

وقال الله تعالى:

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^{٨١} ﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^{٥٥}.

وكذلك، ساهم اسم الإشارة (أولئك) في تحقيق الاتساق بين الآيتين، وهو يحيل إلى القوم الظالمين المذكور فيما تقدم.

٣. نماذج لضمائر الموصول - قال الله تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾^١ ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾^{١٠} ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿ ١١ ﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾^{٥٦}.

نرى بوضوح دور الاسم الموصول (الذي) في الربط بين أجزاء الآيات الكريمة، إذ يحيل إلى (العزيز العليم) أي الله تعالى، وهو يقوم بخلق الاستمرارية بين الآيات وتحقيق الاتساق بينها.

يتبين لنا مما تقدم أن توظيف الضمائر بأنواعها المختلفة لا محالة يُكوّن العلاقة الاتساقية بين أجزاء النص، سواء أكان على مستوى آية واحدة أم أكثر من آية، فلا يمكننا تخيل النص دون عناصر الاتساق التي تربط بين أجزائه، ولا سيما ضمائر الشخص؛ لأنها من أكثر عناصر الاتساق انتشاراً في كل نص.

ب- الحذف

إن الحذف في النص القرآني كثير جداً، ويعتبره الكثير من الباحثين ظاهرة لغوية تخدم غرضاً بلاغياً، وهو يجيء في أتم صورة وفي أحسن موقع،^{٥٧} وللحذف أسرار بلاغية معينة، فقد ذكر الجرجاني في الدلائل: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر...".^{٥٨} ومن المهم أن يوجد دليل كمرجع أو مفسّر للمحذوف، مقالي أو مقامي، فلا حذف إلا بدليل، وإلا أصبح الكلام مبهماً، فإن وجود دليل على المحذوف شرط من الشروط الأساسية كما ذكر ابن هشام في المغني.^{٥٩} وناقش الباحثون والمفسرون قضية تقدير المحذوفات، وفي عملية الترجمة، نجد أن المترجم يؤدي دوراً مهمّاً في ترجمة الفراغ الذي أحدثه الحذف عن طريق الدليل الموجود في النص، أو بالرجوع إلى كتب التفاسير حتى لا تقع الترجمة في الخطأ أو القصور.

إذا نظرنا في أنماط الحذف عند ابن هشام، نجد أنها تشمل حذف الحركة مثل التنوين، وحذف الحرف مثل قد، وما، وفاء الجواب وغيرها، وحذف الكلمة من الاسم والفعل، وحذف العبارة، وحذف الجملة، والكلام بجملته، وحذف أكثر من الجملة.^{٦٠} وفي دراستنا للحذف، نكتفي بدراسة ثلاثة أنواع من الحذف كما وضعه هاليداي وحسن: اسمي، وفعلية، وقولي. ونرى أنه يمكننا أن ندخل في ضمن الحذف القولي حذف العبارة، أو الجملة، أو

الكلام، أو أكثر من الجملة، وننتقل من ذلك إلى الاتصال والاتساق بين الآيات القرآنية عبر الحذف والمحذوف، ولا يقتصر دور الحذف على تحقيق الاتساق بين عناصر الآية الواحدة، بل يحدث الاتساق بين أكثر من آية.

نموذج للحذف - قوله تعالى:

﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ
الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٦١﴾

إن العلاقة الاتساقية بين الآيتين تتحقق من خلال المحذوف (فريق) أي (فريق الذين آمنوا) إجابة لما في الآية السابقة، بدليل اللفظ (الفريقين)، وهذا يشير إلى دور المحذوف في إيجاد الترابط بين أجزاء النص، وعلينا أن نطلع على كتب التفسير لمعرفة المحذوف من الآيات.

ج- الاستبدال

تم عملية الاستبدال داخل الجملة من خلال العلاقة القائمة بين الكلمات أو المفردات، فقد تكون ثمة كلمة وتعني جملة بذاتها سبقتها، وقد يكون فعل يحمل معنى فعل آخر، أو اسم يشير إلى اسم، أو قول سابق.^{٦٢} تؤدي هذه الظاهرة دورا في تحقيق التماسك والاتساق بين أجزاء الجمل، لكونها تستبدل لفظا لاحقا ب(لفظ أو فعل أو جملة) سابقة بغرض الاختصار، وله ثلاثة أنواع: الاسمي، والفعلية، والقولي.^{٦٣} والمثال على ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرٰى فَاِذَا هُمْ قِيٰمٌ يَّظُنُّوْنَ ﴾^{٦٤}، والكلمة (أخرى) في الآية مُستبدلة من (النفخة).

نموذج للاستبدال - قوله تعالى:

﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا
ثُمَّ لِنُبَلِّغَنَّكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّنَوِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَنُ

بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَقَّ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٥﴾

(ذلك) يحيل إلى الآية السابقة استبدالاً لها واختصاراً منها، وهو يحيل إلى قول الله عز وجل عن خلق الإنسان والأرض، تأكيداً على قدرة الله على كل شيء.

د- التكرار

من أنواع التكرار تكرار الحروف، والكلمات، والعبارات، والجمل، وال فقرات. ويقوم التكرار بتحقيق التماسك النصي عن طريق امتداد عنصر ما من بداية النص إلى آخره، ويربط هذا الامتداد بين عناصر النص مع مساعدة عناصر الاتساق أو التماسك الأخرى،^{٦٦} مثل قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾،^{٦٧} نجد أن تكرار كلمة (الحاقّة) في الآيات يضمن الاستمرارية ويحقق الترابط بين أجزائها.

نموذج للتكرار - قال الله تعالى:

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٨﴾

تكرار كلمة (أمر) في الآية الخامسة يربط بين السابق واللاحق، أما تكرار (رب) في الآيتين السابعة والثامنة يضمن الاستمرارية بين الآيتين والآية التي سبقتهما.

ومن خلال النماذج القرآنية التي قدمناها فيما سبق، يتبين لنا أن العناصر، مثل الضمائر، والاستبدال، والحذف، والتكرار، تكون العلاقات الاتساقية بين الآيات وتربط بين أجزائها، وتضمن استمرارية الأحداث أو الأفكار فيها، ومن ثمّ، تؤكد على التدفق السلس للآيات.

ثانياً: الاتساق بالأداة

يعني الاتساق بالأداة استخدام الروابط اللغوية في الحفاظ على استمرارية أجزاء النص، وإيجاد العلاقات الاتساقية والترابطية في النص. وتنقسم الروابط العربية إلى نوعين: أولهما الروابط

النحوية مثل حروف المعاني مثل حروف العطف، وحروف الجر، وغيرهما، وثانيهما التعبيرات الرابطة مثل (إضافة إلى ذلك)، و(مع ذلك)، و(على الرغم)، وما أشبه ذلك. ويُلاحظ أن النص القرآني يتميز بالروابط النحوية دون العبارات الرابطة إلا قليلا، ويختلف ذلك طبعا عن النص غير القرآني، وهذا لا يعني وجود القصور في النص القرآني، وإنما يدل ذلك على أنّ له خصائص اتساقية متميزة.

وفي هذا البحث، تحاول الباحثة دراسة بعض الأدوات العربية التي تعدّ من عناصر الاتساق النصي، وهي التي تربط بين معاني النص، وعلى رأسها حروف العطف، وقد توفّرت أساليب العطف في القرآن الكريم، وهي تؤدي دورا واضحا في إيجاد العلاقات الاتساقية بين الآيات القرآنية، والترابط بين أجزائها، وتضمن لها استمرارية الأحداث أو الأفكار. قال د. مصطفى حميدة في مقدمة كتابه "أساليب العطف في القرآن الكريم" إن العطف بالحرف جانب مهم من جوانب دراسة التركيب العربي؛ لأنه نمط من أنماط الربط بين المعاني، فحسن الربط بين المعاني بالأدوات أساس مهم من أسس إحكام النظم.^{٦٩}

نموذج للاتساق بالأداة

أ- الواو

قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝٢٦ وَانْحُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝٢٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝٢٩ ﴾

تأتي الواو العاطفة للاشتراك والجمع بين الآيات، ومن ثم تكمل الدعاء الذي رفعه موسى نحو ربه في مواجهة فرعون الطاغية لعنه الله، وهي تأتي لتفيد معنى الربط والاتساق، فهي تربط بين الآيات المذكورة، وتجعلها متسقة بعضها ببعض.

ب- ثم

قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ٧١

نرى أنّ حرف (ثم) في الآية يفيد الترتيب والتعقيب، أي الترتيب في خلق الإنسان، من أول خلقه إلى نهاية حياته، وبعد ذلك حاله في يوم القيامة، ومن ثم نرى أن (ثم) تحقق الاستمرارية والربط بين الآيات بعضها ببعض.

ج- أو / أم

تتوزع (أو) و(أم) في النص القرآني لتفيد معنى الربط والاتساق، وتضمن اتصال المعاني بين الآيات الكريمة، واستمرارية الأفكار أو الأحداث فيها، كما في المثال التالي:

نموذج (أو) - قوله تعالى:

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ٧٢

نموذج (أم) - قال تعالى:

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَنْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ مَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا بِهِمْ بِذَلِكَ رِجِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ٧٣

وقد توصلنا إلى حيثيات عدة، نستخلصها كالآتي:

١. إن أسلوب القرآن الكريم، من حيث نظمه وجودة سبكه، يدل على إعجازه، وحسن التأليف والترتيب والارتباط بين الآيات الكريمة؛ وهذا يوحي إلينا نوعاً من العلاقات التي تقوم بين أجزاء النص القرآني، ونقول إنها هي العلاقات النصية التي تتصف بتسلسل الآيات وارتباطها بعضها ببعض، حيث يشير ذلك إلى مظاهر الاتساق والانسجام التي تتحقق عبر وسائل لغوية معينة.

٢. ويتأكد مما سبق عن ظهور مظاهر الاتساق وتوافرها في النص القرآني، وتتم العلاقات الاتساقية بواسطة العناصر اللغوية الظاهرة، مثل الضمائر، والاستبدال، والحذف، والتكرار، والربط، وغيرها.
٣. تتحقق العلاقات الاتساقية في النص عبر العناصر، مثل: الضمائر، والاستبدال، والحذف، والتكرار، بإحالة عنصر إلى ما يسبقه أو يلحقه، ونسبي ذلك "الاتساق بالإحالة"، لأن كلاً من العناصر المذكورة يحتاج إلى عنصر إحالي سابق أم لاحق داخل النص أو خارجه.
٤. أما الاتساق بالربط، فهو يتمثل في استخدام الروابط النحوية، مثل: حروف العطف التي تؤدي دوراً مهماً في اتصال المعاني والارتباط بين أجزاء النص، ومن ثم تحقيق استمرارية الأفكار والأحداث فيه.

خاتمة:

لقد أدركنا توفّر مظاهر الاتساق عند مناقشة العلماء المسلمين عن الأسلوب، والعلاقات النصية في النص القرآني. لا جرم أن الاتساق مظهر من المظاهر اللغوية الموجودة في النص القرآني، وليس الاتساق مفهوماً غريباً فيه، وقد طعن بعض الناس في جهود الباحثين الذين يقومون بدراسة الاتساق في النص القرآني دراسة لغوية لأنها تؤدي إلى التقليل من شأن الإعجاز القرآني، غير أننا نرى أن دراسة الاتساق في القرآن الكريم لا تتلف عظمته، بل يظهر الإعجاز اللغوي فيه، ويثبت اتساق الآيات القرآنية وارتباطها ببعضها ببعض، وتسهم في التأكيد على نصيته، ونسيجه، كما أنها تفيد الدارسين ولا سيما في مجال تدريس اللغة، وتساعدهم على فهم العلاقات التي تربط بين أجزاء النص، والتي لا بد من الاهتمام بها في خلق نص ما.

ويتضح لنا وجود مظاهر الاتساق النصي في القرآن الكريم، بأسلوبه المعجز، وتظهر أهمية دور عناصر الاتساق في إيجاد العلاقات النصية، كما يتبين لنا أن العلاقات الاتساقية

في النص القرآني تجعل الآيات الكريمة ملتحمة ومرتبطة بعضها ببعض، ويساعد في تحقيقها بعض العناصر اللغوية مثل الضمائر، والحذف، والاستبدال، والتكرار، وأدوات الربط مثل حروف العطف، ونرى أن العناصر السابقة ضرورية في إنشاء الاتساق والاتصال بين المعاني داخل الآيات القرآنية، وإحداث العلاقة الوثيقة بينها، وتزويد الانسجام والاستمرارية والاتحام للنص القرآني.

هوامش البحث:

^١ حشفة، أمينة أحمد، الإعجاز اللغوي في القرآن، من موقع "ملتقى الأدباء والمبدعين العرب" ١٦ فبراير

<http://www.almolltaqa.com/vb/showthread.php?t=١٩٢٧٩>، ٢٠١١

^٢ ترجم محمد خطابي كتاب *Cohesion in English* لهاليداي ورقية حسن إلى (الاتساق في اللغة الإنجليزية) كما لوحظ في كتابه: لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م)، ص ١١.

^٣ انظر: الشامي، محمد أشرف عبد العال، معايير المصية: دراسة في نحو النص، (القاهرة: قسم النحو والصرف والعروض، جامعة القاهرة)، ص ٢٨؛ وانظر أيضا: الأزهر الزناد في كتابه نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصا؛ وحسان، تمام، في اللغة العربية معناها ومبناها، ومداس، أحمد، في لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، وحيدة، مصطفى، في نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية.

^٤ انظر: خطابي، محمد، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام النص، ص ١٥؛ وانظر القول بالإنجليزية في: M.A.K Halliday & Ruqaiya Hasan, *Cohesion in English*, (London: Longman Group Ltd, ١٩٧٦), p٤.

^٥ See: Halliday & Hasan, *Cohesion in English*, p٨.

^٦ Mona Baker, *In other words*, (London: Routledge, ١٩٩٢), p١٨٠.

^٧ Ibid, p٢١٨-٢١٩.

^٨ See: Halliday & Hasan, *Cohesion in English*, p٢٩٣.

^٩ انظر ملخص البحث ل: علي، عاصم شحادة صالح، مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي: رقائق صحيح البخاري نموذجاً، رسالة دكتوراه (ماليزيا: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٤م).

^{١٠} انظر التفاصيل من أسلوب القرآن في: بدوي، أحمد أحمد، من بلاغة القرآن، (القاهرة: دار نفضة مصر، ١٩٥٠م)، ص ٢٤٤-٢٥٠.

^{١١} انظر المزيد من خصائص الأسلوب في: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، خصائص القرآن الكريم، (الرياض: مكتبة التوبة، ٢٠٠٠م)، ص ٢١-٥٧.

- ١٢ الدبل، محمد بن سعد، **النظم القرآني في سورة الرعد**، (مصر: دار النصر للطباعة الإسلامية، د.ت)، ص ٩.
- ١٣ من معاني النظم في اللغة: التأليف، وضم شيء إلى شيء وجمعه.
- ١٤ الدبل، محمد بن سعد، **النظم القرآني في سورة الرعد**، ص ٣٨؛ وانظر أيضا: محمد عمار، أحمد سيد، **نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم**، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ص ١٢٢.
- ١٥ انظر: محمد بن سعد، المرجع السابق، ص ٣٨.
- ١٦ مطلوب، أحمد، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٩٦م)، ص ٦٦٢.
- ١٧ انظر: السابق نفسه، ص ٩٣؛ وانظر: مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ص ٦٦٢.
- ١٨ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٢م)، ص ٣٩.
- ١٩ مستفيدا من قول الجرجاني في **الدلائل**: "أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالث ألفاظها في النطق، بل تناسقت دلالته وتلاقث معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل". انظر: ص ٤٩-٥٠.
- ٢٠ انظر: عرفه، عبد العزيز عبد المعطى، **من بلاغة النظم العربي**، ج ١، ص ٧؛ وانظر: محمد عمار، أحمد سيد، **نظرية الإعجاز القرآني**، ص ١٢٣.
- ٢١ الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٠م)، ص ٤٧.
- ٢٢ الشامي، محمد أشرف عبد العال، **معايير النصية**، ص ٢٩.
- ٢٣ عرفه، عبد العزيز عبد المعطى، **من بلاغة النظم العربي**، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م)، ج ١، ص ١٣.
- ٢٤ انظر: مطلوب، **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، ص ٥٠٥.
- ٢٥ الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، تحقيق: أحمد عيسى المعصراوي، (القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٣م)، ج ١، ص ٥٠-٥٢.
- ٢٦ انظر: الرومي، **خصائص القرآن الكريم**، ص ٣٩.
- ٢٧ انظر: عمر، "خصائص أسلوب القرآن الكريم"، في موقع: منتدى حلب الإسلامي، التاريخ ٢٠٠٩/٢/٢١م، في <http://isalep.com/showthread.php?t=٦٦١١>
- ٢٨ الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص ٣٩.
- ٢٩ ابن منظور، **لسان العرب**، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م)، ج ٦، ص ١٦٢.
- ٣٠ انظر: الشامي، **معايير النصية**، ص ٢٩.
- ٣١ الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص ٣٩.

^{٣٢} انظر: نوفل، أحمد إسماعيل، "النسق والتناسق وأثره في التفسير: سورة التين نموذجاً"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (٢)، العدد (٢)، (٢٠٠٦م)، ص ٩.

انظر الموقع: <http://web2.aabu.edu.jo/nara/Islamic/suportFile/٢٢١.pdf>

^{٣٣} انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، *الجامع لأحكام القرآن*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ج ١٩، ص ٦٠، وج ٢٠، ص ٨٨.

^{٣٤} ومنهم: حسين عبد الرؤوف في كتابه (Quran Translation).

^{٣٥} الجرجاني، *دلالت الإعجاز*، ص ٥٥.

^{٣٦} قطب، سيد، *التصوير الفني في القرآن الكريم*، (مصر: دار المعارف، ١٩٤٩م)، ص ١١٨.

^{٣٧} انظر: السيوطي، جلال الدين، *تناسق الدرر في تناسب السور*، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٧م)، ص ٩.

^{٣٨} عبد الراضي، محمد أمين، *النسق البنائي الفريد للقرآن الكريم*، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، العدد: ٥٣٢، تاريخ العدد: ٢٠١٠/٣/٩م، انظر الموقع:

<http://alwaei.com/topics/view/article.php?sdd=١٩٠١&issue=٥١٦>

^{٣٩} قد ابتدأ العلماء بدراسة العلاقات في النص القرآني في المرحلة التاريخية المبكرة من الدراسات القرآنية.

^{٤٠} وهو القاضي أبو بكر بن العربي، وقال ذلك في كتابه *سراج المريدين*، نقلا من البقاعي (٨٨٥هـ)، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، تخرّيج: عبد الرزاق غالب المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٦.

^{٤١} انظر: El-Awa, Salwa M.S, *Textual Relations in the Quran*, (London: Routledge, ٢٠٠٦), p1, ١١.

^{٤٢} انظر: عبد العليم، مصطفى أحمد، *العلاقات النصية في القرآن الكريم: دراسة نحوية لجهود المفسرين*، (جامعة القاهرة: كلية دار العلوم، د.ت)، نقلا من الموقع:

www.ahlalhadeeth.com/vb/attachment.php?attachmentid=٧٥٧٦٨&d...

^{٤٣} الفقي، صبحي إبراهيم، *علم اللغة النصي*، ج ١، ص ٤٩.

^{٤٤} انظر: El-Awa, Salwa M.S, *Textual Relations in the Quran*, p١٣.

^{٤٥} انظر: Halliday & Hasan, *Cohesion in English*, (London: Longman Group Ltd, ١٩٧٦), p٢٢٦.

^{٤٦} الفقي، *علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق*، (القاهرة: دار القباء، ٢٠٠٠م)، ج ١، ص ١٣٧.

^{٤٧} علي، عاصم شحادة صالح، *مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي*، ص ٤١.

^{٤٨} حسان، تمام، *اللغة العربية: معناها ومبناها*، (المغرب: دار الثقافة، ١٩٩٤م)، ص ١٠٨-١١٠.

^{٤٩} السابق نفسه، ص ١١١، ١١٣.

- ^{٥٠} الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٧٢م)، ج ٣، ص ١٥٠-١٥١، وج ٤، ص ٢٥، ٤١.
- ^{٥١} سورة الصافات، الآية ١١٤-١٢١.
- ^{٥٢} سورة الروم، الآية ٣٠.
- ^{٥٣} سورة غافر، الآية ٨٤-٨٥.
- ^{٥٤} المبخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الكشاف، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م)، ج ٤، ص ١٧٨.
- ^{٥٥} سورة آل عمران، الآية ٨٦-٨٧.
- ^{٥٦} سورة الزخرف، الآية ٩-١٢.
- ^{٥٧} أبو شادي، مصطفى عبد السلام، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة القرآن، ١٩٩١م)، ص ٩.
- ^{٥٨} الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ١٤٦.
- ^{٥٩} انظر: ابن هشام الأنصاري، ج ٢، ص ٣٦٠-٣٦٦.
- ^{٦٠} انظر: ابن هشام، مغني اللبيب، مراجعة وإشراف: حسن حمد وإميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ج ٢، ص ٣٩٢-٤٣٩.
- ^{٦١} سورة الأنعام، الآية ٨١-٨٢.
- ^{٦٢} انظر: علي، عاصم شحادة صالح، مظاهر الاتساق والانسجام في تحليل الخطاب النبوي، ص ٤٥.
- ^{٦٣} انظر: الشامي، معايير النصية، ص ٥٩-٦٢.
- ^{٦٤} سورة الزمر، الآية ٦٨.
- ^{٦٥} سورة الحج، الآية ٥-٦.
- ^{٦٦} انظر: الفقي، علم اللغة النصي، ج ٢، ص ٢٢.
- ^{٦٧} سورة الحاقة، الآية ١-٣.
- ^{٦٨} سورة الدخان، الآية ٤-٨.
- ^{٦٩} انظر: حميدة، مصطفى، أساليب العطف في القرآن الكريم، (مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر-لوجمان، ١٩٩٩م)، ص ٣.
- ^{٧٠} سورة طه، الآية ٢٥-٢٩.
- ^{٧١} سورة المؤمنون، الآية ١٢-١٦.
- ^{٧٢} سورة النحل، الآية ٤٥-٤٧.
- ^{٧٣} سورة القلم، الآية ٣٦-٤١.